إسهامات العلماء المسلمين في علم النفس

" أبو الحسن الماوردي أنموذجاً "

دراسة استقرائية

CONTRIBUTIONS OF MUSLIM SCHOLARS IN THE FIELD OF PSYCHOLOGY "ABU AL-HASAN AL-MAWARDI AS A MODEL"

د. أسماء سالم عريبي*

الجامعة الأسمرية الإسلامية، ليبيا، زليتن

as.ierabi@asmarya.edu.ly

تاريخ الاستلام: 2024/11/18 تاريخ القبول 2024/11/30 تاريخ النشر 2024/12/17

ملخص:

هدف البحث إلى استظهار تراث المسلمين واستنطاق إسهاماتهم في الدراسات النفسية، حيث انتخب الإمام أبا الحسن الماوردي كنموذج متأصل ضمن عُلماء التراث النفسي، اجتهد في تقديم نظرية تربوية هدفها إرشاد الإنسان وتوجيهه وتقويم سلوكه، مستظهراً نظرية استبصاريه عميقة في تشكيل السلوك الشخصي للإنسان، تعتمد على تنمية القدرات العقلية والروحية، وفي المقابل فهم النفس الإنسية فهماً عميقاً، طارحاً رؤئ في التربية والتعليم مبيناً على ضوئها أهمية العلم بما فيها علوم الدين خاصة، وهي رؤية نابعة من عقيدته الإسلامية مصدر الهداية والإرشاد، وظفت الباحثة المنهج الاستقرائي للإجابة عن أسئلة البحث عبر هيكلتهِ البنيوية، ساقنا فيها المقام البحثي إلى الاعتماد أحياناً على آليات أخرى، كالوصف والاستنباط، لبيان آراء الماوردي من وجهة نظره، كما يراها هو، واستنتج أن الماوردي وصل إلى حقائق سابق بها العلماء المحدثين والمعالجين النفسانيين من أتباع رواد مدارس العلاج السلوكي المعرفي الحديث، من خلال تركيزه على التربية العقلية والدينية لتنمية شخصية الفرد، وتغير معتقداته الخاطئة،

* المؤلف المراسل

كونها المؤثرة في سلوكه، وكذلك عنايته في علاج السلوك الإنساني السيء، والعوامل الوراثية المؤثرة عليه، وهو الأسلوب الذي غالباً ما يتبعه معالجو السلوك النفساني في علاج الاضرابات السلوكية عند الأفراد.

الكلمات المفتاحية: الجانب الروحي، البيداغوجي، آداب الدنيا والدين، فسيولوجي.

Abstract

The study aimed to highlight the heritage of Muslims and their contributions to psychological studies. It selected Imam Abu al-Hasan al-Mawardi as a rooted model among the scholars of educational psychology. He made efforts to present an educational theory that aims to guide and evaluate human behavior. He presented a deep insight theory in shaping personal behavior, based on the development of intellectual and spiritual capacities. On the other hand, he had a deep understanding of human psychology, presenting his views on education and emphasizing the importance of knowledge, especially religious sciences. This vision stems from his Islamic belief, which is the source of guidance and direction. The researcher employed the inductive approach to answer the study's questions through its structural framework. Sometimes, other mechanisms such as description and deduction were used to present al-Mawardi's opinions from his perspective. It was concluded that al-Mawardi reached conclusions that were previously reached by modern scholars and psychotherapists who follow the approaches of cognitive-behavioral therapy schools. This was achieved through his focus on mental and religious education to develop individuals' personalities and change their false beliefs, which influence their behavior. He also paid attention to treating bad human behavior and the genetic factors that affect it, which is a method commonly followed by psychological behavior therapists in treating behavioral disorders in individuals.

Keywords: spiritual aspect, pedagogical, physiological, psychological structure.

المقدمة

الحمد لله والشكر على نعمه الظاهرة والباطنة، ونصلي ونسلم على هادي البشرية سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.

أما بعد، فحين نولي نظرنا شطر عُلمائنا المسلمين وإسهاماتهم في علم النفس ومعرفة سيكولوجية الذات، نرى أفكارهم و آراءهم التي جسدوها لا تقل اتساعاً وعمقاً عن إسهامات

علماء الغرب، وهنا نشير إلى أثر العقيدة الإسلامية في تجليات المنهج النفسي والتربوي ضمن أبحاثهم ومؤلفاتهم، وفي بيان هذا التأصل نرى الأثر قد تجسد ضمن منهج شخصية علمية انتخبت لهذه الدراسة، هو الإمام أبو الحسن الماوردي، علم من أعلام التابعين، اشتهر واستفاضت شهرته علماً وزهداً وأدباً وورعاً، فكان القدوة والمثل لعلماء الأمة من بعده، الذين آثروا العلم النفسي بجهودهم العلمية للأجيال اللاحقة، جمع سيرته كوكبة من أعلام التراجم، يستوجب استقراءها لترجمته، ونظرًا لذلك تم توظيف المنهج الاستقرائي والإشارة بالقول الوجيز لحدود ما ذكر، تبلور موضوع الدراسة ليأتي عملُنا هذا في استنطاق جهود العلماء المسلمين وإسهاماتهم في علم النفس من رؤى، ونظريات قصدنا منها كذلك الإفصاح عن النفس الإنسية بالإشارة إلى أهمية معرفتها ودلالاتها في القرآن الكريم، كونها مناط التكليف والمسؤولية، خاطبتها الأديان قبل أن تخاطب الأبدان، وهي تحتاج إلى إرشاد وهداية لاستقامة حالها وتهذيب سلوكها وانفعالاتها، وبالتالي فإن **الإنسان هو المتبصر في أمر نفسه،** بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾ الذاريات:21، وهذا من مبررات الدراسة التي تسعى إلى تبيين معالم الدور الإسلامي بالإفصاح عن فكر عُلمائنا في إرشاد النفس الإنسية، واستلهام ما أجادوا به من حلول لمشاكل عصرهم المعقدة، كانحلال وتعطل وفقدان للقيم والأخلاق، وهو داعٍ ساعد على البحث و الدراسة، وعليه انتظمت أهمية البحث في تحديد القيمة العلمية من دراسة تراث العقل الإسلامي في عملية البناء النفسي والتربوي للفرد، والإفادة منه حاضراً ومستقبلاً، وضمن هذا الإطراء تمحورت الورقة في رؤية الماوردي للإشارة إليه كأحد جهابذة علماء المسلمين، كانت لهم اجتهادات لا تقل أهمية عن نُظرائه من العُلماء في إثراء علم النفس الإسلامي، وهو ما هدف إليه هذا البحث بالكشف عن ذلك، فنقول وبالله التوفيق قولاً نبيّن به ما نسعى إليه في البناء الهيكلي للبحث، حيث سيكون بناؤه مكوناً من مقدمة تعهدتْ بالإفصاح عن مجال البحث ودوافعه ومبرراته، وثلاثة مباحث رئيسة، تم فيها صياغة فكر الماوردي، والأفكار المهمة التي قدمها في تربية العقل وإرشاده، وهو ما ساقه لنا المبحث الأول، بينما المبحث الثاني تناول التربية الدينية وكذلك أهمية العلم والتعليم ودور المعلم والعلماء، وأما المبحث الثالث فأسند إليه تربية النفس الإنسية من حيث تعديل السلوك، وكيفية تحقيق التوازن بين الجانب النفسي

والجانب الروحي (الاستقرار النفسي والروحي للإنسان)، ثم خاتمة ضُمنتْ الخلاصة الاستنتاجية والتوصيات وعلى إثرها تم توثيق المصادر والمراجع التي استند عليها البحث، علماً أن الورقة البحثية تسير بمنهجية علمية استقرائية ساقنا فيها المقام البحثي إلى الاعتماد أحياناً على آليات أخرى كالوصف والاستنباط، لبيان آراء الماوردي من وجهة نظره، وكما يراها هو.

مشكلة البحث: إذا ما رجعنا إلى موروثنا الحضاري الإسلامي واستقرائنا أفكارهم وأراءهم، سوف نلحظ بسهولة أن عُلماءنا المسلمين كانوا في هذا المقام جهابذة متأثرين بقضايا عصرهم وأحداثه المختلفة، حمّلهم وضع بيئتهم لزوم التعايش مع تيارات متباينة، وعناصر غريبة[1]، مصادمات وفتن مذهبية وفوضى واضرابات وأحداث خطيرة وفساد للأخلاق والقيم، أيقظت فيهم ثورة علمية فكرية، تمخض عنها إسهاماتهم في هذا المقام، ولما كان الماوردي أحد أعلام الفكر الإسلامي الذين عاصروا تلك الاحداث، توجب علينا الاستبصار في موروثه الفكري في علم النفس الذي تبلورت منه مشكلة البحث في التساؤلات الآتية:

من هو الماوردي؟ وكيف صاغ إسهاماته التي قدمها في المجال النفسي؟ ثم كيف تشكلت منظومته التربوية؟ وما وسائل تطوير القدرات العقلية في العملية التربوية للفرد؟ وفي سياق سير تساؤلات هذا السؤال تنبثق تساؤلات أخرى تتبدى في ظل البحث.

* ما هي أساليب التعلم ووسائل التربية التي صاغها الماوردي في آدب الدنيا والدين؟

* هل سنلحظ أثر العقيدة في تشكيل وبناء شخصية الفرد؟ وكيف استطاع تحقيق التوازن بين الجانب النفسي والجانب الروحي؟

أهداف البحث: تتقصد الباحثة في عملها المنجز وتتطلع إلى مجموعة من الأهداف يروم تحقيقها، نجملها في الآتي:

* توضيح أهمية دراسة التراث النفسي من المنظور الإسلامي واستنطاق رؤية علمائه.

* إبراز جهد الماوردي وأفكاره التي طرحها في مجمل العملية البنيوية لتكوين الشخصية وتعديل السلوك.

* استظهار أثر العقيدة، بإيضاح وسائل التربية السليمة، المقتبسة من وحي السماء والهدي النبوي.

* الإسهام في إثراء المعرفة بشكل عام حول علم النفس في المنظور الإسلامي، وكيف تناول العلماء المسلمين النفس من الجانب التربوي.

أهمية البحث: تبرز أهمية البحث في محاولة استنطاق الموروث الإسلامي النفسي التربوي، من خلال التعريف بالإمام الماوردي كونه أحد رواد الفكر التربوي الإسلامي، وبيان إسهاماته في علم النفس، والاستفادة منه في مجال علم النفس الحديث، كما تتبدى لنا أهميتها في الكشف عن الأفكار والرؤى التربوية التي ضمنتها مصنفاته (**أدب الدنيا والدين**)، ومؤلفه، (**تسهيل النظر وتعجيل الظفر**).

حدود البحث:

الحدود الموضوعية: تقتصر الحدود الموضوعية في تبين فكر الماوردي في علم النفس، ومعرفة الوسائل والطرق التي يتم بها تربية النفس (التأديب والتهذيب)، من خلال الرجوع إلى تراث العقل الإسلامي، بالإشارة إلى إسهامات أبي الحسن الماوردي، كنموذج متأصل في تراث **الفكر الإسلامي ضمن الجانب النفسي**.

الحدود البشرية: تقتصر الحدود البشرية على الإمام أبي الحسن الماوردي باستقراء أفكاره واستنباط منهجه في العملية البنيوية للفرد، وتربية النفس الإنسية.

الحدود الزمنية: تشمل الفترة الزمنية التي عاش فيها الماوردي، وهي ما بين(364هـ-441هـ) القرن الرابع الهجري.

مصطلحات البحث: الجانب الروحي، البيداغوجي، آداب الدنيا والدين، فسيولوجي.

الدراسات السابقة ذات الصلة: قامت حول الماوردي دراسات عديدة في فنون علمه السياسي والفقهي تستلهم من إسهاماته لدعم الإنتاج العلمي الذي يقدمه، ورغم ضآلتها في حدود علمنا، وقلة كفايتها من الجانب النفسي إلا أن هناك دراسات لها رؤى تنحصر في موضوعات تربوية نقتصر منها على ما يتعلق بموضوع البحث، وأخصها على سبيل الذكر:

* **دراسة بعنوان: مباحث تعليمية عند الإمام الماوردي،** (2022م) دراسة وصفية تحليلية، (رسالة ماجستير) وهي دراسة موسعة، اقتصر فيها الباحثان: (صديق بن يوسف وعبد الوافي الصادق) على الجانب التعليمي فقط ودوره في البناء التربوي للعملية التعليمية، هدفت الدراسة إلى إمكانية الاستفادة من الآراء التربوية للإمام الماوردي في واقع البيئة التعليمية لبيئاتنا التربوية.

* **دراسة بعنوان: الفكر التربوي عند الماوردي من خلال كتابه أدب الدنيا والدين،** (2022م) ورقة بحثية منشورة، للدكتور عزيز بن عوض المالكي، حاول فيها الباحث الكشف عن جوانب تربوية في فكر الماوردي والتأصيل لها، كما اقتصر فيها الباحث على جمع واستقراء فكر الماوردي حول التربية والتعليم متناسياً الجوانب النفسية عند الماوردي.

* **دراسة بعنوان: القيم الأخلاقية عند الإمام الماوردي وأبعادها التربوية،** (2021م) للدكتور محمد أحمد عزب، وهي دراسة استقرائية، تتبع فيها آراء الماوردي في منظومته الأخلاقية ومسارتها التربوية، مبيناً ملامح التربية الروحية كونها القاعدة الأساسية في عملية تهذيب النفس، والتنشئة التربوية الراشدة، كما أشار ذلك، وهدفت دراسته إلى تبين الأبعاد الأخلاقية وأهدافها التربوية عند الماوردي، مستنتجاً أنها نظرية تجمع بين الدين والدنيا.

منهجية البحث: منهجنا في هذا البحث يتضمن ثلاثة أبعاد رئيسة:

البعد الأول: يتمثل في مجتمع البحث ويختص بمؤلفات الماوردي، (أدب الدنيا والدين)، و(تسهيل النظر وتعجيل الظفر).

البعد الثاني: يتمثل في عينة البحث إذ أننا نقصد منه الاستطلاع على كتب ومصادر الماوردي واستقراء أفكاره التي جسدها في تجليات فكره النفسي التربوي، ليستظهر لنا مدى تفهمه لهذا الجانب المهم.

البعد الثالث: سنعول فيه على النصوص التي أوردها الماوردي فيما يتعلق بالتربية السلوكية وتهذيب النفس الإنسية، وتكوين الشخصية، كلما استطعنا إلى ذلك سبيلا، وذلك بالرجوع إلى مصادره ومؤلفاته التي تبثت صحة نسبتها إليه، وقصدنا من ذلك هو دعم ما سيتم طرحه في هذا الموضوع.

المبحث الأول: تمهيدي مفاهيمي.

المطلب الأول: ترجمة الإمام الماوردي: نود الإشارة في هذا الحيز إلى أننا لسنا بحاجة لسبر أغوار كل تفصيلات عصره وبيئته التي عاش فيها، إذ لا يسع هذا الحيز الخوض في ذلك، وليس من صميم الدراسة، بل تحتاج إلى دراسات مطولة ومستفيضة للوقف على مؤثراتها في فكره، لذلك نستتبع في هذه الجزئية طريقتين، الطريقة الأولى هي الاستقرائية، والطريقة الثانية هي سياسة الاختصار غير المخل بإذنه سبحانه وتعالى.

اسمه ولقبه: هو أشهر من أن يُعَرَّف، فأسوقُ – إن شاء اللهُ تعالى– ترجمتَه على سبيل الاختصار، ثُمَّ أذكر مصنفاته سردًا دون تفصيل، فنقول وبالله تعالى التوفيق إسنادًا على ابن خلكان في وفيات الأعيان، «أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، المعروف بالماوردي» (خلكان، 2013م، ص 282)، وهي نسبة إلى عمل الماوَرد؛ لأنَّ بعض أجداده كان يعمله أو يبيعه (الماوردي، 2019م، 14)، لقب بالفقيه الشافعي؛ فكان من كبار الشافعية، أخذ الفقه عن أبي حامد الإسفراييني ببغداد، حافظاً متبحراً تام المعرفة للمذهب الشافعي (خلكان، 2013م، 282) وبرواية السبكي: « كان إماماً جليلاً رفيع الشأن، له اليد الباسطة في المذهب، والتفنن التام في سائر العلوم» (السبكي، 1977م، ص 268).

مولده: مولده في البصرة إحدى العواصم الفكرية المشهورة والذائعة الصيت في ذلك الوقت، (مصطفى، 1990م، 55) ونشأ بها شغوفاً بالعلم ومحباً له، ارتحل واستوطن بغداد حاضرة العلم والأدب في زمانه، لينهل ويتشرب العلم من عُلماء وفقهاء أهلها، شهد له بالذكاء والفطنة والاجتهاد في طلب العلوم والمعارف، وهو ما أشادت به أغلب كتب التراجم بالاتفاق.

منزلته العلمية وثناء العلماء عليه: تصدر الماوردي مجالس التدريس، حائزًا محل تقدير جل العلماء، كان « إماماً في الفقه والأصول والتفسير بصيراً بالعربية» (الذهبي ا.، 1985م، ص

296) أخذً التأليف في شتى الفنون، حتى طبقت شهرته الآفاق (الماوردي، 2019م، 15)، كان له افتنان عجيب، وابتكار في التأليف، وقد شهد له بالسبق والتقدم في المعرفة بالعلوم الإسلامية وغير الإسلامية (الماوردي، 1955م، 4)، ولرغبة منه في تولي القضاء كان من الطلبة المتكسبين الذين يقصدون الفقهاء، «لأنهم حملة علوم الشريعة والعبادات، وكان ضرورة التتلمذ عليهم لمن يريد تولي القضاء» (متز، 1947م، ص 320)، ثم استقضي ففوض إليه أمر القضاء ببلدان كثيرة، استحق على أثره أن يلقب أقضي القضاة، فكان أول من أجاز هذا اللقب في تاريخ الإسلام، كما شهد له بالبراعة والتفنن في العلم والآدب والفقه، حيث روي عنه قوله:« بسطت الفقه في أربعة آلاف ورقة، واختصرته في أربعين» (الحموي، 1414هـ-1993م، ص1956)، فحفظ الدين لصلاح الدنيا، وعليه أثنى الأئمة والعلماء والخلفاء، حتى قالوا فيه «حفظك الله دينك كما حفظت علينا ديننا» (الحموي، 1414هـ-1993م، ص 1956).

مصنفاته: للماوردي فهم ثاقب، وقلم سيَّال، متوجان بتوفيق الله سبحانه وتعالى، فأثمر ذلك تصانيف شتى ومتعددة في مناح العلوم الإسلامية، وقد شهد له السبكي في ذلك، متفنن في سائر العلوم، وقال عنه ابن كثير: «صاحب التصانيف الكثيرة في الأصول والفروع والتفسير» (الزركلي، 1992م، ص327).

إلا أنه يتوجب علينا بالضرورة أن نذكر في هذا المقام بعضاً مما تركه الماوردي من موروث حضاري لازال قائماً حتى الآن، حيث دونت له كتب التراجم بصحة النسب لهذه المؤلفات: **الحاوي:** وهو موسوعة فقهية في الفقه الشافعي، **الأحكام السلطانية:** اشتهر به الماوردي بفكره السياسي، **أدب الدين والدنيا:** كتاب عن الأخلاق والوعظ والإرشاد، كما أنه محور هذه الدراسة أيضاً، ساق فيه مجموعة من الفضائل العلمية، كما سعى فيه إلى أن يؤطر وجهة النظر الإسلامية في التربية النفسية، فكان له فضل السبق في المناداة بأهم المبادي التربوية، ولا جرم أن مؤلفه هذا قد حاز القبول لدى أهل العلم على توالي الأعصار، وفيه تبرز شخصية الماوردي كما جمع فيه وجهات النظر المتباينة من مسائل تربوية أخلاقية، وكذا كلامية وفقهية، وفق رؤية العلماء والحكماء والشعراء، بالإضافة إلى كتاب تسهيل النظر وتعجيل الظفر، وهو كتاب ساق

فيه مجموعة من الآراء الأخلاقية والنصائح التربوية إلى الملوك في سياستهم، إلى جانب ذلك مجموعة من المصنفات الأخرى، التي لا يسع حصرها في هذا الحيز، وأنّ ما يهمّنا هو مصنفاته التي أسهم بها في المجال النفسي التربوي.

وفاته: توفي الماوردي رحمه الله تعالى، شهر ربيع الأول، سنة 450هـ ودُفن من الغد مستهلَّ ربيع الآخر في مقبرة باب الحرب، وكان له من العمر ست وثمانون سنة (الذهبي، 1985م، 269).

المطلب الثاني: التعريف بالنفس الإنسانية وأهمية دراستها. توخيت في هذه الجزئية الإشارة إلى بيان معرفة النفس بشكل عام وحقيقة البحث فيها، ومرادفاتها (الروح والعقل)، وتقسيماتها، (اللوامة، الأمارة، المطمئنة)، وكذا دلالاتها في القرآن الكريم، ذكر في لفظ النفس، الروح، وقال ابن سيده وبينهما فرق، وخلق الإنسان من نفس وروح وجسد، وكلاهما مكمل للأخر، وبصلاح المهم يصلح الأهم، والنفس شرعاً: يراد بها ذات الإنسان (الروح والجسم)، بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمۡ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا ﴿٧٢﴾ النحل: 72، بيدا أن مفهوم النفس أخذ حيزاً كبيراً في فكر العلماء المسلمين من جوانب عدة، فحمل تعريفات شتى لوجهات نظر متباينة، ويبدو ذلك واضّحا لأهل الاختصاص عند الفلاسفة والمفكرين؛ غير أَّن تعريف النفس على حقيقتها هو استشكال معقد ومتصعب، «لوقوع هذا اللفظ بالاشتراك مع عدة معان كالجسد، والعزة، والهمة والإرادة، وغيرها وهي مبدأ الحياة، والفكر، والأخلاق فلا إرادة، ولا وجدان لمن لا نفس له، وفي سياق ذلك هناك من يفرق بين النفس، والروح، ويرى أن النفس غير الروح» (عربيي، 2022م، ص 79)، بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٥﴾ الإسراء:85 ، وهي دلالة على أن الروح سر إلهي أودعها الحق الخبير جل ذكره في الكائن الحي، ولا يمكن لهذا الكائن الوصول إلى حقيقتها، وأما النفس ذكر حقيقتها في محكم التنزيل بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي

قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ الزمر:42، وكلتا الآيتان تتحدثان في آمر ملازم للإنسان ولكنهما مغايران، فالنفس الأولى تزول بزوال الحياة، والنفس الثانية التي تزول بزوال العقل (منظور، 1997م، 231) والحديث في هذا الشأن يطول من وجهات نظر متعددة، جاء في لسان العرب «الروح الذي به الحياة، والنفس هي التي بها العقل، فإذا نام النائم قبض الله نفسه ولم يقبض روحه، ولا يقبض الروح إلا عند الموت، قال وسميت النفس نفساً لتولد النفس منها واتصاله بها» (منظور، 1997م، ص 231)، ويستخدم بعض العلماء المسلمين كابن القيم الجوزية لفظي الروح والنفس بمعنى واحد (نجاتي، 1993م، 282)، وهي نتيجة وصل إليها ابن القيم بعد استعراض وإبطال لآراء السابقين في حقيقة النفس، بيدا أن القول الصحيح عنده أن «النفس جسم نوراني علوى خفيف حيّ متحرك ينفذ في جوهر الأعضاء ويسري فيها سريان الماء في الوريد...وما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقى الجسم مشابكاً لهذه الأعضاء...من الحس والحركة الإرادية» (الجوزية ا.، 1986م، ص 325-329)، وسار على نهج ابن القيم، ابن حزم الأندلسي وقال: «إن الروح والنفس مرادفان لشيء واحد، ومعناهما واحد» (الأندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل، 1980م، ص 74-84)، وفي حدود ما ذكر يأتي القول بأن النفس تطلق على ثلاثة معانٍ، «النفس بمعنى الذات الإنسانية كلها جسم وروح، والنفس بمعنى الروح التي تقبض عند الموت، والنفس بمعنى الجانب المدرك من الإنسان وهو العقل» (المقرى، 1978م، ص 29)، ورغم التعقيد في آمر النفس، تظل الاجتهادات قائمة، والأقاويل كثيرة، ما يستظهر أن النفس كانت من أقدم المسائل التي اجتهد فيها العقل البشري بالبحث والملاحظة والدراسة، كما توغلت عقول الفلاسفة بالحديث عنها، ولم تصل إلى حقيقتها، بيدا أنها حظيت بمكانة هامة ومميزة في موروث عُلمائنا المسلمين، كانت لهم فيها أقوالاً جامعة مستفيضة، وأفردوا لها مصنفات يفاض حصرها، قلما نجدها عند مناظريهم من علماء الفكر الغربي، بل ألفوا فيها القصائد والقصص والشعر، ما يرشدنا إلى أهمية معرفة النفس وقيمتها في فهم الجوانب الأساسية عند الفرد، كالانفعال، والغضب، والتوتر، وفي تحديد سلوك الإنسان وأفعاله، وبما أنها المسؤولة

عن الفرد بمساعدة العقل، فقد كانت مصدر إلهام للعديد من العقول الإسلامية في محاولاتهم لمعرفة العالم، ومكانة الإنسان في هذا العالم، وبالمجمل إن تعريف النفس الإنسية على حقيقتها هو أمر معقد، وذلك لوقوعها واشتراكها تحت عدة معان، كما وضح سابقاً، وهناك من اعتبرها جوهراً مغايراً عن البدن ومستقلاً عنه (أفلاطون) وفي المقابل جعلها أرسطو خاضعة للبدن (أرسطو، السياسة، 2008م)، كما أنها محددة بالقوة والحس والتفكر والحركة (بدوي، 1954م، ص 32)، وتماشياً مع المنظور اليوناني تعرف النفس على أنها « كمال أول لجسم طبيعي آلي ذي حياة بالقوة» (أرسطو، كتاب النفس، 1949م، ص 29)، ينمو ويتولد ويتغذى، وعلى ضوء هذا التعريف استند جلَّ عُلّماءُ المسلمين في تعريفهم للنفس قاصدين من استكمال أول لجسم طبيعي، أن بها يكمل الجنس فيصبح نوعاً قائماً بالفعل، وهي كمال أول لجسم طبيعي وليس صناعي، ومعنى آلي أنه يقوم بوظائفه بوساطة آلات، هي أعضاؤه المختلفة، ومعنى ذي حياة بالقوة، أن فيه استعداداً للحياة وتهيؤاً لقبول قوى النفس (مرحبا، 1970م، 434)، غير أن الجرجاني كانت له رؤية مغايرة حيث يعرفها بالقول: «أنها كيان الإنسان وجوهره وأساس وجوده، وهي الجوهر اللطيف، والحركة الإرادية، بل جوهر مشرق للبدن» (الجرجاني، م2007، ص 385)، وهوما يتفق فيه مع ابن القيم الجوزية، واسناداً إلى ما ذكر وفق رؤية العلماء والفلاسفة المسلمين يستظهر بأنها ليست شيئاً مادياً ملموساً أو محسوساً وإنما هي جوهر روحاني، وأساس لوجود الإنسان، وفي حدود علمنا، هي الآلة التي تحرك الإنسان بمساعدة العقل الذي يعصم من الوقوع في الخطأ، إذ يمكن أن نعد العقل مفتاحاً للنفس، فإذا ضاع العقل ضاعت النفس وضاع معهما البدن، وبذلك تكون النفس بمثابة العامل الرئيسي والمسؤول عن أفعال الإنسان، بل هي المؤثر الحقيقي على السلوك الإنساني، والانفعالات إن وفقنا في ذلك، شرط سلامة العقل واكتماله، ويقسم العلماء المسلمين النفس إلى ثلاثة أقسام: أولها: النفس النباتية وهي الغاذية، والمنمية التي تزيد الجسم طولاً وعرضاً، ثم المولدة التي تولد الشبيه (سينا، 1960م، ص 258) ثانيها: النفس الحيوانية وهي محركة(شهوانية وغضبية) ومدركة، ومنها المفكرة، الوهمية، الحافظة، الذاكرة، وثالثها: النفس الإنسية وهي عاملة (العقل العملي) وعاقلة (العقل النظري) (الزين، 1991م، ص 16)، وتتم المعرفة

في النفس، إما بالإدراك الحسي الظاهر(الحواس)، وإما بالإدراك الحسي الباطن، أي العقل ووظائفه، ونستظهر ذلك بإذن الله عند الماوردي في رؤيته حول تربية العقل وتربية النفس.

المطلب الثالث: دلالات النفس في القرآن الكريم: يقول الحق عزّ في سماه:ٱ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ الشمس:10، وهو أمر صريح من الخبير الحكيم بالاستجابة لكل ما تضمنته من توجيه، وإرشاد، وتزكية، وتطهير ومجاهدة، لترويضها، وتهذيبها وتأديبها، إلى غير ذلك من الأوامر في أمرها، من منطلق هذه الآية نقول وبالله اليقين إن ألفاظ القرآن الكريم وآياته مشحونة بدلالات نفسية وإشارات تربوية لا عداد لها، بل يفاض حصرها، تخاطب النفس مباشرة، وإذ أننا نقف في هذه الجزئية على بعض هذه الإشارات في سور من القرآن الكريم، مستنطقه آياتها المباركة لمعرفة دلالات النفس فيها، فنقول وكما جعل الله سبحانه وتعالى في هذا الكون آيات للموقنين واضحة وصريحة تدل دلالة يقينية على وجوده، وقوة عظمته، كذلك جعل للنفس دلالات في مجمل التنزيل المحكم، فتحدث عنها وعن صفاتها وأشار–جلّ في عُلا– إلى الجانب الروحي والنفسي والعاطفي للإنسان، (فالنفس واحدة، ولكنها تحمل صفات متعددة)، منها النفس الأمارة بالسوء، والنفس المطمئنة، والنفس اللوامة، كما أشار أيضاً إلى النفس النقية الطاهرة، وهي النفس التي تسعى إلى التقرب إليه بالتهذيب والتطهير، وفي هذا الحيز نذكر بعضاً من الدلالات والنصوص التي تتناول صفات النفس في القرآن الكريم:

* في قوله جل ذكره: يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ۝٢٨ الفجر:28 دلالة إلى النفس المستقرة المطمئنة التي عرفت طريقها إلى ربها فتشعر بالسلام عند ذكره وتثق بالله وتتوكل عليه في جميع الأحوال.

* وفي قول الحقّ تقدّست أسماؤه العليّة:ٱ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ القيامة:2، إشارة موقنة للنفس اللوامة: وهي نفس مؤمنة صالحة، لكنها تعصي

فتلوم نفسها على ما فات، وتندم ثم تثوب إلى الله تعالى، وهي عادة ما تخاطب الإنسان وتلومه على فعل الشر، وترشده إلى الهداية والصلاح حتى يستقيم حاله.

* وفي قول الخبير الحكيم: وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ يوسف:53، إشارة إلى النفس التي تجنح بصاحبها للانغماس في الشهوات، هي نفسٌ تغفل عن وجود الله، تميل إلى الشهوات والأفعال غير الحسنة، وتبتعد عن **القيم** الروحية وتسارع في ارتكاب الأفعال السيئة.

المبحث الثاني: الجانب النفسي والفكر التربوي عند الماوردي.

نود الإشارة إلى أن الماوردي لم يخصص مؤلف بعينه في الجانب النفسي، ولكن المتمعن في أمر مؤلفاته (**كأدب الدنيا والدين**)، الذي سعى بفضله إلى الاجتهاد في بيان الضرب الثاني من علم النفس، والذي يتناول فيه أهمية التربية العقلية والدينية والنفسية، هذا الجانب الذي يرتكز أساساً على تعديل السلوك الإنساني لتكوين شخصية الفرد بمعنى(التدبر في أمر الذات)، ففي وسط تلك الاضطرابات والفتن المذهبية، هدف الماوردي إلى إعداد الإنسان إعداداً قوياً من جميع النواحي، بما فيها العقدية والأصولية، كونهما القاعدة الأساسية في هداية الإنسان وإرشاده، وذلك وفق معطيات عصره، فاهتم بدراسة النفس اهتماماً كبيراً، واعتبر أن معرفة النفس توصل إلى معرفة الله –سبحانه جل ذكره– بِهِۦۗ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ فصلت:53، ويضع منهجية واضحة ومحددة، منطلقاً فيها من العقل، ومؤكدًا على أهمية العلم في تربيته، جاهداً في تعليم العلوم الدينية وترسيخ القيم الروحية، منظرًا لصلاح الدنيا، قاصداً تربية النفس وتهذيبها، كونها مناط التكليف والمسؤولية، حيث صلاحها يصلح حال الإنسان في الدنيا والآخرة، «وطالما النفس أمارة بالسوء، وللجسد شهواته وغرائزه، فلابد من مرشد وقائد يكون حكيماً ويحسن تدبير (النفس والجسد) ويكون قادراً على التوفيق بين ما تتطلع إليه النفس، وينجذب

إليه البدن من غرائز» (الدين، 1988م، ص 67) لذلك يرى الماوردي وجب معرفة العقل وتربيته أولاً، وهو ما يسوقه لنا المطلب الأول، الذي يُعْنىَ برؤيته في تربية العقل وذم الهوى.

المطلب الأول: التربية العقلية.

* **في شرف العقل وبيان حقيقته:** يقال في حد العقل وتعريفه أنه غريزة يتهيأ بها إدراك العلوم النظرية، وكأنه نوراً يقذف في القلب به يستعد لتحصيل صورة الأشياء وإدراكها، فكما أن الحياة غريزة بها يتهيأ الجسم للحركات الاختيارية، والإدراكات الحسية، كذلك العقل غريزة يتهيأ به الانسان لإدراك العلوم النظرية وحقائق الأشياء (الغزالي، 1992م، ص 118)، وهو بمثابة قوة توجه السلوك وتفسر الوجود وتعلل الظواهر وتستنبط الأحكام، (مراد، 2000م، 11)، ولما كان الأمر كذلك، لذا جعل الماوردي العقل المكتمل من العوامل المؤثرة في النمو المعرفي، لتعديل السلوك، وذلك بالإشارة إلى تربيته بتوجيهات مستنبطه من عقيدته الإسلامية، فأشاد بقيمة العقل وفضله، وركز على تربيته أولاً في التشكيل التربوي، لأنه «أسُ الفضائل وينبوع الآداب» (الماوردي، 1955م، ص 3)، وكما أن الجسد يحتاج إلى الغذاء، وغذاؤه الطعام، فإن للعقل غذاً، وغذاؤُه الحكمة» (الجبان، 2012م، ص 44)، ولدوره في تهذيب النفس، وتأثيره على الجوانب الأخرى في تحديد سلوك الإنسان، وبناء شخصيته، فقد رفع الله سبحانه وتعالى القلم عن ثلاثة، النائم حتى يستيقظ، والصغير حتى يكبر، والمجنون حتى يعقل، لذلك أسقط الله تعالى التكاليف عن ناقص العقل وفاقده، وقد أتى في محكم التنزيل: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ٢٢٥﴾ البقرة:225، «به يثاب الإنسان إن أحسن ويعاقب إن أساء، وهو الجانب المدرك في الإنسان الذي يميز به الحق من الباطل، والخير من الشر» (المقرى، 1978م، ص 29)، وتأتي أهمية تربية العقل لما ذكره الماوردي في أنه أصل الدنيا، وعماد الدين (مصطفى، 1990م، 358)، فأوجب التكليف بكماله وجعل الدنيا مدبرة بأمره، وألف به بين خلقه، مع اختلاف هممهم ومآربهم (الماوردي، 1955م، 3)، ويستشهد الماوردي على سلامة العقل والاقتداء بأمره بقول الحق جل ذكره: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١٠﴾ الملك:10 ،

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن لكل شيءٍ دعامةً، ودعامة عمل المرءِ عَقْلُه» (الهيثمي، 1992م، ص 840)، كما ذكره الغزالي أيضاً في شرف العقل وحقيقته، إذ يرى صورة العقل في ذكر النور والظلمة المراد به العلم والجهل (الغزالي، 1992م، 116) فبقدر عقله تكون عبادته لربه، فطرياً واكتساباً، ويتبع الماوردي علماء عصره بأن العقل عقلان: غريزي فطري أب العلم، ومكتسب مستفاد.

*** أقسام العقل وتفاوت النفوس:**

* الغريزي (الفطري): عقل حقيقي، وهو مناط التكليف، يمتاز به الإنسان عن الحيوان، لا يجاوزه إلى زيادة ولا يقصر عنه إلى نقصان(لا يزيد ولا ينقص)، وقد اختلف الناس في أمره، فمنهم من يتفاوتون بكثرة الإصابة وسرعة الإدراك، والسبب في ذلك إما تفاوتاً في الغريزة، وإما في الممارسة، والتفاوت فيه لا سبيل إلى جحده، كما يقول الغزالي، بيدا أن الماوردي يعرفه فيتبع قول «هو العلم بالمدركات الضرورية وذلك نوعان: ما وقع عن درك الحواس والثاني مبتدأُ النفوس» (الماوردي، 1955م، ص 44)، قصد بالمدركات الضرورية تلك التي يدركها الشخص بحواسه من العالم الخارجي الذي يحيط به، كالأشياء المرئية التي ندركها بالنظر، والأصوات التي ندركها بالسمع، أو الأجسام التي ندركها باللمس، وهو القول الصحيح من رؤيته، وجاءت السنة بما يؤيد هذا القول في العقل؛ وهو ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «العقل نورٌ في القلب؛ يفرق به بين الحق والباطل» (ربه، 1940م، ص 248) (الماوردي، 1955م، ص 6).

* وأما العقل المكتسب، فهو نتيجة العقل الغريزي، وهو عقل لا حد له ينمي إن استعمل، وينقص إن أُهمل، ونماؤه يكون على وجهين: إما بكثرة الاستعمال وممارسة الأمور، أو بفرط الذكاء، وحسن الفطنة وذلك جودة الحدس، فإذا امتزج بالعقل الغريزي صارت نتيجتهما نمو العقل المكتسب (الماوردي، 1955م)، والماوردي يجعل العقل بمنزلة المعرفة للأشياء الضرورية والمكتسبة، بينما الذكاء متفاوت أمره.

وكما اختلف في أمر العقل الغريزي، كذلك اختلف في العقل المكتسب إذا تناهى وزاد في الإنسان، هل يكون فضيلة، أو رذيلة؟ والإجابة على ذلك ضربان، الأول، على أنه لا يمكن أن

يكون فضيلة، لأنها هيئة متوسطة بين فضيلتين ناقصتين، وذهبوا إلى أنه رذيلة تفضي بصاحبها إلى المكر والدهاء، فيصبح مذموماً ملُوماً ومدحوراً، بينما قال آخرون- وهو القول الأصح- أن زيادة العقل فضيلة؛ لأن المكتسب غير محدود (الماوردي، 1955م، 12)، وفي سياق ذلك طرح الماوردي كل الرؤى بوجهات متباينة متنقلاً في مدح الزيادة وذمها بين اقوال البلغاء والحكماء والمتكلمين، واقفاً على قول الحق اليقين ما جادت به السنة المحمدية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن: «**خير الأمور أوساطها**»[2] (البيهقي ا.، 2003م، ص 519).

* **في ذم الهوى وأثره على العقل**: يشير الماوردي لضرورة الاستعانة بالعقل على النفس النفور فيشعرها ما في عواقب الهوى من شدة الضرر، وقبح الأثر، وكثرة الإجرام، وتراكم الآثام؛ فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «حُفَّتِ الجَنَّةُ بالمَكَارِهِ، وحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ» (مسلم، 1991م، ص 2174/ رقم الحديث/2822) وفي موضع آخر يشدد على ضرورة انقياد النفس للعقل، فإذا انقادت النفس للعقل وأشعرت بعواقب اتباع الهوى، كان الهوى للعقل مزجورًا، وبالنفس مقهوراً، ثم له الحظ الأوفر في ثواب الخالق وثناء المخلوقين، لقول الحق ﷻ

وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ النازعات:41 فنهى النفس عن كل ما تميل إليه من فعل سيئ مذموم، ومخالف لشرع الله، خوفاً من عذاب يوم لا ريب فيه، وهي إشارة تربوية لتهذيب النفس وتربية العقل معاً.

وخلاصة لما تقدم ذكره، نخلص إلى أن الهدف من التربية العقلية عند الماوردي هو تنمية القدرات العقلية، و تكوين شخصية قادرة على إدراك حقائق الأشياء (الحسنة والسيئة)، وتفهمْ الواقع، ومعرفة البديهيات، فبالعقل وحده يمكن أن تساس النفس وتدبر شؤونها، وبه يتوصل الانسان إلى معرفة الخالق، فالقوة العاقلة هي التي يجب أن تسود وتقود بقية قوى النفس والبدن (الشهوانية والغضبية).

المطلب الثاني: التربية العلمية (أهمية العلم والتعليم وفضل العلماء): بالعلم يعرف المرء الفضيلة فيتبعها ويعرف الرذيلة فيجتنبها،« فتعلم العلم فإنه يقومك ويسددك صغيراً، ويقدمك ويسودك كبيراً، ويصلح زيفك وفاسدك،... ويقوم ميلك وعوجك، ويصحح همتك وأملك» (الماوردي، 1955م، ص 72)، في بيان فضل العلم وشرفه، أشار الماوردي إلى نجاح العملية

التعليمية في التربية من خلال الاعتراف بفضل العلم وأهميته، فأوضح أن العلم أشرف ما رغب فيه الراغب، وشرفه يثمر على صاحبه، وينمي طالبه، وأفضل ما طلب وجد فيه الطالب، وأنفع ما كسبه واقتناه الكاسب (الماوردي، 1955م، 25)، لذلك تفطن الماوردي في الجانب التربوي البيداغوجي (أصول التربية) إلى أهمية العلم وفضل العلماء، وأشار إلى عدة عناصر فيه سيأتي ذكرها في هذا المقام، حمله اهتمامه بالعلم بأن جعله يحظى بمكانة رفيعة في فكره، وأخذ طابعاً مميزاً ومكاناً مهماً بل حيزاً كبيراً من تفكيره، فأكد على شرف أهميته وفضله، وجعله المنطلق الأول بعد سلامة العقل نحو البناء التربوي.

شرف العلم وفضله: استبصر هذا الجانب واضعًا فيه عدة وصايا جسدها في فضله وشرفه، قائلاً: «إذا صان ذو العلم نفسه حقَّ صيانتها، ولازم فعْلَ ما يلزمها..أمِنَ تعبير الموالي، وتنقُّصَ المعادي، وجمع إلى فضيلة العلم جمال الصيانة، وعزَّ النَّزاهة، فصار بالمنزلة التي يستحقُّها بفضائله» (الماوردي، 1955م، ص 78)، وأكد في هذا المقام على أن شرف العلوم كلها، ولكل علم فضيلةٌ، قيل لبعض الحكماء: من يعرف العلوم؟ قال: كل الناس، إلا أن شخصاً واحداً لا يستطيع الإلمام بها جميعاً.

في بيان فضل العلم: يشدد الماوردي على أن تعلم العلم يصون النفس ويربيها، بل يهذبها كما يهذب القرآن الإنسان ويصلح النحو اللسان، فإذا صان ذو العلم نفسه وفعل ما يلزمها أمن تعيير الموالي وتنقيص المعادي، وجمع فضيلة العلم جميل الصيانة، وعز النزاهة أصبح في المنزلة التي يستحقها بفضائله (الماوردي، 1955م، 31).

في بيان أهمية التعلم وأفضل العلوم: أشار بوجوب صرف الاهتمام إلى معرفة أهمها، والعناية بأولها وأفضلها، وأول العلوم وأفضلها هي علوم الدين؛ وفي سياق ذلك أظهر جملة من أسباب التقصير في نفس الفرد تمنعه من طلب العلم والاشتغال به، موضحاً أهمية التعلم في الصغر، وحاجة المتعلم إلى التعليم، وأن تحصيله ليس حكراً على سن معين، وإنما التدرج في التعلم، ولا يضر طلب العلم في الكبر، «فمن امتنع إنما رضى بالجهل أن يكون موسوماً به، ولأن يكون شيخاً متعلماً أولى من أن يكون شيخاً جاهلاً» (الماوردي، 1955م، ص 80-81)، وفي المقابل نراه يشدد على فضل العلماء في العملية التعليمية وشرفهم بعد الرسل، لما يقومون به من

«إعمال العقل والإجتهاد في تدبر أيات التنزيل الحكيم، وإبراز الشواهد الحسية التي تفرز الاطمئنان لصدق خبر الوحي الكريم»، (الكيلاني، فلسفة التربية الإسلامية، 1987م، ص 270) ولأنهم ورثة الأنبياء، «إنَّ الأنبياء لم يُورِّثوا ديناراً ولا درهماً، وإنماء ورثَّوا العلمَ فمن أخذ به أخذ بحظٍ وافرٍ»، (الترمذي، 1996م، ص 414، حديث رقم/2682)[3]، ويوعظ مباشرة بقول الحق جل ذكره:ٱ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٩ الزمر:9، فمنع من المساواة بين العالم والجاهل، وذلك لما خص به العالم من فضيلة العلم، ومن سنة الرسول الكريم يستشهد بحديث روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أوحى الله تعالى إلى إبراهيم عليه السلام: إني عليمٌ، أحبُّ كلَّ عليم» (البر، 1994م، ص 236)، وللمكانة الركيزة التي يحتلها العلم في كيان عُلمائنا المسلمين يستشهد الماوردي بنصيحة أوردها عبد الملك بن مروان لأبنه قال فيها: « تعلَّم العلمَ؛ فإن يكن لك مالٌ.. كان لك جمالاً، وإن لم يكن لك مالٌ.. كان لك مالاً» (البيهقي ا.، 2016م، ص 1510)، «ففضل العلم عند الله عظيم، والجهل قبيح، والعلم عند الناس محمود والجهل مذموم» (الجوزية ا.)، وجل ذلك هي إشارات ودلالات صريحة تؤكد على أهمية العلم والتعليم في البناء التربوي للإنسان، وهي دلالات نابعة من عقيدة التراث الإسلامي، استنبطها الماوردي بنظرة محددة، مستلهماً منها اشتراطات بشأن المعلم والتعلم، التي يلزم توافرها **في علم الطالب يستوجب استظهارها في هذا المقام، بها ينتهي كمال الراغب مع ما يلاحظ من التوفيق ويمد به من المعونة.**

* **أهمية التعلم**: يعرف التعلم على أنه تغير في الأداء وتعديل في السلوك عن طريق المعايشة والممارسة، كما أنه عملية تكيف للمواقف الجديدة (جيتس، 1960م، ص 5)، وإن سلوك الإنسان الصادر عن الفرد هو في واقعه جاء نتيجة لتعلم سابق، إما بسبب عامل وراثي، أو نتيجة التفاعل الحاصل بين الفرد وبيئته، من خلال ذلك يتعلم الفرد عدة أنواع متفاوتة، كالعادات، والتقاليد، والسلوك الذي يميز شخصاً عن آخر (فهمي، 1975م، ص 213-233)، من هذا المنطلق تحظى عملية التعلم بمكانة بارزة ومنزلة رفيعة في فكر الماوردي، إذ

يعتبره الأساس في تشكيل الفرد وصقل شخصيته، وتطوير مهاراته، وأشار إلى عدة عوامل أسهمت في ذلك، تمثلت في العامل البيئي والعامل الوراثي، إلى جانب ذلك، عامل الدافعية والباعث، والماوردي يدرك أهمية ذلك تماماً كما يدرك أهمية تحبيب المتعلم في التعلم والعلم، وجعل هذه المهمة على عاتق العلماء، وذلك بأن لا يمنعوا طالباً ولا ينفروا راغباً، «أن من احترام الدافعية وزيادة إثارتها احترام المتعلم، ورغبته في التعلم، والمعلم الحق هو الذي لا يطفئ الاستجابة، ولا يكف المعلم عن بغيته» (مصطفى، 1990م، 430)، أضف إلى ذلك، النصح والإرشاد والتوجيه، بالإضافة إلى مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين في القدرات والصفات.

* **شروط يجب توافرها في طالب العلم:**

سلامة العقل: لانه القوة المدركة الي يدرك به حقائق الأشياء، **الفطنة:** بها يتصور غوامض الأمور، **الذكاء:** الذي يستقر به حفظ ما تصوره، وفهم ما علمه، **الشهوة:** التي يدوم بها الطلب ولا يسرع إليه الملل، **الاكتفاء:** بمادةٍ تغنيه عن كُلَف الطلب، **الفراغ:** الذي يكون معه التوفر، ويحصل به الاستكثار، **عدم القواطع المذهلة:** من هموم وأشغال وأمراض، **طول العمر واتساع المدة:** لينتهي بالاستكثار إلى مراتب الكمال، **الظفر بعالم سمحٍ** بعلمه متأن في تعليمه، فإذا اكتملت فيه هذه الشروط وتوافر معاها الجد والقريحة وكذا معلم ناصح صار الطالب أنجح متعلم وأسعدهم (الماوردي، 1955م، 59-58). ولحرص الماوردي على الفائدة المرجوة من تعلم العلم بجوانبه المختلفة دعا العلماء وحتهم على نشر العلم في أرجاء بلاد المشرق العربي، والجدير بالذكر أنه في المقابل، هذه الدعوة كانت تقابلها دعوة أخرى في بلاد المغرب العربي بمساندة ابن حزم الأندلسي الذي قرر في **[الاخلاق والسير في مداواة النفوس]** على أنه المصدر الأساسي للتربية، لأن «منفعته في استعمال الفضائل عظيمة، وهو أنه يعلم حسن الفضائل فيأتيها- ويعلم قبح الرذائل فيجتنبها، ولو في الندرة، ويسمع الثناء الحسن فيرغب في مثله، والثناء الردي فينفر منه» (الأندلسي، الاخلاق والسير في مداواة النفوس، 2009م، ص 92)، مما يدل على الحرص الشديد من جانب الماوردي وابن حزم في النهوض بحضارتهم وتغير

واقع بيئتهم بالرجوع إلى الاهتمام بالعلم والتعليم، وأهمها علوم الدين، للخلاص من الفساد الأخلاقي، وتعطل القيم والانحلال في السلوكيات.

المطلب الثالث: أهمية التربية الدينية: لقد بذلت محاولات من علماء الغرب لخلق قواعد دينية تقدم في قوالب نظريات علم النفس، لكن في مجتمعاتنا يعتبر الدين هو العلاج المفضل لمعظم الأمراض النفسية، إذ أن العلاجات الدينية فعالة لأنها الطريق الواضح إلى القلب والعقل (مغنيّة، 1992م، 64)، ولم يكن هؤلاء العلماء أول من وصل إلى هذه الحقيقة، فقد سبقهم علماء العرب المسلمين، الذين اعتبروا تنمية الجانب الروحي هو القاعدة الأساسية التي تتم بها عملية الاستقرار النفسي، كما تتم بها أيضاً عملية البناء التربوي في تشكيل شخصية الفرد وتطويره، وعلى هذا المستوى كان الماوردي من أبرز العلماء المسلمين في صياغة هذه العملية، ونظرًا لطبيعة العصر الذي عاش فيه من تفكك وفتن مذهبية، فقد عمد إلى تفهم مستجدات عصره، منفتحاً على كل الثقافات الحاضرة في بيئته بعقلية مستبصره، مستلهماً بما جادت به قريحته من حلول، متقصدًا الرجوع إلى الدين كأساس لإرشاد الناس، حتى صارت التربية الدينية من أشد العوامل والمبادئ التي أثرت في صياغة منظومته التربوية، في علم النفس، لذلك أفرد باباً خاصاً أظهر فيه ميلاً كبيراً لأهمية تعلم علوم الدين وأصوله كأولى العلوم التي يستوجب صرف الاهتمام إلى معرفتها والعناية بها.

* **أهمية تعلم أصول الدين:** أشار إلى أن تعلم علوم الدين يبعث في النفس قيم أخلاقية نبيلة، كالصدق والعدل والإحسان والصبر والتواضع، مؤكداً على أهميتها في تعزيز روح التعاون وترسيخ قيم التسامح والالفة والمحبة والمؤاخاة، مستشهداً بوعظ النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه: «لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً..»[4] (البخاري، 2002م، ص 1519)، وفي سياق ذلك أكد على أهمية تعزيز الوعي الروحي لدى الأفراد، وتوجيههم نحو الاستقامة والتقوى مبيناً حكمة التكليف في تحقيق التوازن النفسي والروحي، وتعزيز السلام الداخلي، والرضا بالنفس، وأخذ يوازن بين نفع الدنيا والآخرة فيستطرد حديثه ليؤكد على « ان الله سبحانه وتعالى إنما كلف الخلق متعبداته، وألزمهم مفترضاته، وبعث إليهم رسله، وشرع لهم دينه لغير حاجة دعته إلى تكليفهم، ولا من ضرورة قادته إلى تعبدهم، وإنما قصد نفعهم تفضلاً

منه عليهم، كما تفضل بما لا يحصى عدًّا من نعمه، بل النعمة فيما تعبدهم به أعظم؛ لأن نفع ما سوى المتعبدات مختص بالدنيا العاجلة، ونفع المتعبدات يشتمل على نفع الدنيا والآخرة، وما جمع نفع الدنيا والآخرة كان أعظم نعمة وأكثر تفضلاً» (الماوردي، 1955م، ص 78) لذلك وجه هذا التكليف لمن كمل عقله، وأرسل رسوله بالهدى ليظهره على الدين كله، وبين لهم شريعته، وتلا عليهم كتابه، وبين لهم الحلال والحرام، ووعد بالثواب لمن أطاعه، و الوعيد بالعقاب لمن عصى واستكبر، فكان وعده ترغيباً، ووعيده ترهيباً، واقترن التكليف بالرغبة والرهبة، لأن «الرغبة تبعث الطاعة، والرهبة تكف عن المعصية، والتكليف يجمع أمراً بطاعة، ونهياً عن معصية» (الماوردي، 1955م، ص 78) فالحمد لله على نعمه التي لا تحصى وشكره الذي لا يؤدى، وجل هذه النصائح مستنبطه من عقيدته مستهدفاً منها إرشاد الفرد إلى صوابه وفطرته التي فطر عليها، وفي حدود ما ذكر يبين الماوردي مكانة العلماء لتعليم العبادات وأصول الدين بعد رسول الله في استنباط ما نبه على معانيه التربوية والإشارة إلى أصوله؛ بالاجتهاد واستنطاق المطلوب فيخصهم بالثواب، لقول الحق تبارك **وَٱلۡأَرۡحَامَ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ** ﴿٧﴾ آل عمران:7«**فصار الكتاب أصلاً والسنة فرعاً واستنباط العلماء إيضاحاً وكشفاً**» (الماوردي، 1955م، ص 79)، (الكتاب والسنة أصلاً).

* **تعلم العبادات:** وفي هذا المقام لم يغفل الماوردي الفرائض الأخرى التي جعلها قاعدة أساسية في تربية النفس، من الجانب الروحي كحكمة فرض الصلاة والصوم والزكاة والحج، فهي تبعث في النفس الراحة ، والطمأنينة والسكينة والهداية ، واعتبرها عوامل أساسية توجيهيه في تعديل السلوك، وفي سياق الحديث عنها يبين المحرمات التي قد تقع فيها النفوس بعد العقول، إن لم تربى على أنها شرور تفسد النفس، وتعطل العقل بل تنحدر بهما إلى هاوية الرذيلة، ويقسمها إلى ما تكون النفوس داعية إليها والشهوات باعث عليها، كالتي تذهب العقل من مخدرات ومسكرات، وأخرى تلك التي تنفر منها النفوس ولا تشتهيها، مثل أكل الخبائث وشرب المتلفات، ويستتبع في هذا المقام ما نصت عليه العقيدة بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر، ليكون الأمر بالمعروف تأكيداً لأوامره، والنهي عن المنكر تأييداً لزواجره، لأن النفس الشريرة تتبع هواها (الماوردي، 1955م، 85)، والناس في ذلك أحوال، منهم من يسعى ليُعدلَ سلوكه، ويرشد نفسه على الحق المتبع، فيعتدل ويستقم اعوجاجه ويتبع ما أُمر به ويتجنب ما نُهيَ عنه، أي يستجيب لفعل الخير ويُقَوِمُ النفس بالطاعات ودرء المفاسد والشرور عنها، والعكس في ذلك بعض الناس.

المبحث الثالث: التربية النفسية وتعديل السلوك.(إن النفس إذا اغترت واستكبرت، تجبرت لذا فإن أمرها يرفع إلى الكتاب والسنة بهما يصلح حالها وأحوالها ويستقم اعوجاجها ويحسن تهذيبها)، في ضوء هذا الإشكال الذي يطرأُ على النفس في حال تركها دون إرشاد أو توجيه، جاهد الماوردي بالتأكيد على أهمية البناء النفسي وتأثيره في تشكيل الشخصية، وتطوير السلوك الإيجابي، حيث صاغ باباً خاصاً لتربية النفس وتنمية الاخلاق والقيم الإنسانية، في مؤلفه أدب الدنيا والدين، شدد فيه على أهمية إصلاح النفس وتنميتها لتحقيق التوازن الروحي والعقلي وذلك لمعالجة قضايا سلوكية وأخلاقية، عنى بها ضرورة تربية النفس، لأن «النفس مجبولة على شيم مهملة، وأخلاق مرسلة، لا تستغنى بمحمودها عن التأديب، ولا تكتفي بالمرضي منها عن التهذيب؛ لأن لمحمودها أضداداً مقابلة، يُسعدها هوىً مطاع، وشهوةٌ غالبة» (الماوردي، 1955م، ص 210)، من منطلق ذلك استبصر في جوهر النفس آخذاً الموازنة بين الجانب النفسي، والجانب والروحي، **وكذا العقلي فأشار إلى ضرورة تهذيب النفس بالمجاهدة والرياضة في تصحيح السلوك، والإرشاد، لإصلاحها وتحقيق التوازن الداخلي.**

المطلب الأول: في تعديل السلوك: تنحدر هذه الجزئية من موضوع رياضة النفس، وتهذيب الأخلاق، وكذا علاج أمراضها ويمكن أن نطلق عليها التربية الروحية، أو مجاهدة النفس وترويضها، أو تعديل السلوك والأسماء في ذلك متعددة، ولكن المعنى والهدف واحد، وهو صرفها عن هواها وتخليصها من قبائح العادات والسلوكيات الضارة السيئه وارشادها إلى الحق، وهذا لا يمكن أن يتحقق إلا بالترويض والتكرار ليحصل الإصلاح؛ لذا وجب على الفرد «أن يكون على علم ومعرفة بالنفس، ويعرف أن النفس أمارة بالسوء، وأن انغماسها في ملذات الحياة، يبعدها عن الكمال وعن طبيعتها الروحانية» (الدين، 1988م، ص 68). إسناداً لما

تقدم استبصر الماوردي ما كان يراه في عصره من سوء أخلاق وانحرافات للسلوك وأمراض للنفس، فأخذ على عاتقه مهمة إصلاح الأخلاق وتعديل السلوك، لذلك ركز على أهمية التوازن بين الجانب الروحي والجانب النفسي متجهاً نحو تشكيل سلوك النشء القائم على مجاهدة النفس، من خلال تعديل السلوك بترك المحرمات واجتناب السيئات وإتباع الحسنات، ثم قيادتها نحو الأخلاق الفاضلة، وإبعادها عن كل ما هو سيء، محذراً النفس من الانغماس في حب الدنيا، والسعي لها والركون إليها، فإنها تلهي عن الآخرة إذا تركت بلا تهذيب أو تعديل، «وكلما حاسب المرء نفسه تنبه لأخطائه، وأقلع عنها، فكأنها بمثابة العلاج له، أما الذي لا يحاسب نفسه ولا يجاهدها على فعل الطاعات، فإنه عن الشفاء بعيد» (الحازمي، 2000م، ص72)، ولما ترتبت رياضة النفس على مسألة التربية في جوهرها، فقد أكد في كذا موضع، أنه إذا كانت النفس مريضة ولا تنتج إلا سلوكًا مريضًا، يتوجب بالضرورة تهذيبها ورفع آمرها إلى الكتاب والسنة.

المطلب الثاني: محاسبة النفس وتهذيب المرء نفسه: تعتبر هذه العملية جزءاً أساسياً من عملية التطور الشخصي والنمو الروحي، ويمكن أن نعدها نظرية فلسفية إسلامية إذ يقتفي فيها الماوردي من أثر الحكماء والفلاسفة، وذلك من خلال استخدامه لأداة التحليل الذاتي بالإشارة إلى قدرة المرء على التحليل والتقييم الذاتي لسلوكياته وتصرفاته، « من بدأ بسياسة نفسه أدرك سياسة الناس» (الماوردي أ.، 1981م، ص 47)، فلزم المرء أن يبدأ بسياسة نفسه حتى تحصل له الأخلاق الفاضلة والسلوك الحسن، ويشير الماوردي إلى ضرورة محاسبة المرء لنفسه أولاً في أفعاله وسلوكياته، وفي المقابل يستظهر أن هذه المهمة تساعد المرء على تحقيق النجاح، وتعزيز الأخلاق والقيم الإيجابية والروحية، «فلا يأمر بمعروف إلا بفعله، ولا ينهى عن منكر إلا بتركه، كما لا يجب عليه أن يلُم أحد فيما لا يلومُ عليه نفسهُ،...فمن قوى نفسه تناهى في القوة، ومن صبر على شهوته بالغ في المروءة» (الماوردي أ.، 1981م، ص 139)، إذاً وليكن من دأب المرء تهذيب نفسه بسبر أخلاقه، ولا يتركها لنزواته وشهواته، وإن ترك نفسه وأهملها قادته إلى أرذل الأخلاق وقبائح الأفعال، فعليه أن يهذب نفسه بنفسه، ويستعين في إرشادها وتصحيح سلوكها بقوة عزم وبكل موضوعية وصدق، ومراقبتها كما لو كان يراقب عدوهُ

(الماوردي أ.، 1981م، 141)، فإن النفس لأمارة بالسوء، لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الشديد من ملك نفسه»[5] (مالك، 1985م، ص 906) وهناك شتانًا بين النفس المطمئنة والنفس اللوامة والنفس الأمارة.

المطلب الثالث: أجزاء النفس وعلاج أمراضها: إن أجزاء النفس عند الماوردي ذاتها نفس الأجزاء المعترف بها في علم النفس الإسلامي، والتي سبق ذكرها والتعريف بها بشكل عام وعنده تتضمن هذه الأجزاء:

* **النفس الأمارة:** هي الجزء الذي يحث الإنسان على ارتكاب الأعمال السيئة.

* **النفس اللوامة:** هي الجزء الذي يذكر الإنسان بالخطأ، والذنب ويرشده **إلى الحق ويحثه على التوبة والهداية.**

* **النفس المطمئنة:** هي جزء يشعر الإنسان بالراحة والسكينة في اتباع الأوامر، والابتعاد عن كل النواهي والقيام بالخيرات، فتحصل لها السعادة من خلال أداء العبادات والطاعات والتقرب إلى الله.

وفي حدود ما ذكر، ضمن الماوردي مجموعة من الوسائل تهدف إلى تربية النفس وتحقيق الاستقرار الروحي، قدمها على هيئة نصائح كعلاج لأمراض النفس (السلوكيات السيئة) وتعزيز الصحة النفسية والعقلية، ويشدد على أهمية الاعتناء بتربيتها وتهذيبها من خلال:

أولاً: العبادة والتأمل كوسيلة لتحقيق الصحة العقلية والنفسية والروحية.

ثانياً: تجنب الكبر واستحقار الآخر والإعجاب بالنفس، لأنهما تخفيان المحاسن وتظهران المساوئ، فمن أسباب الكبر علو اليد، ونفوذ الأمر، والتفاخر بالمال والجمال، وبالقوة وبالحسب والنسب، وأما الإعجاب يكون في النفس، سببه كثرة مديح المتقربين وإطراء المتملقين الذين جعلوا النفاق عادة ومكسباً.

ثالثاً: حسن الخلق، به تكثر الصحبة الطيبة وتقل العداوة وتتسهل الأمور الصعاب، ويتشكل الحياء في الإنسان، ويكون حياؤه من ثلاثة أوجه: حياؤه من الله تعالى: فيكون بامتثال أوامره، والابتعاد عما نهى عنه، وحياؤه من الناس: بكف الأذى وترك المجاهرة بالأمور السيئة والقبيحة، وحياؤه من نفسه: يكون بالعفة وصيانة النفس (الماوردي، 1955م).

رابعاً: تجنيب النفس الحسد وسوء الظن، فكلاهما سلوك سيء وخلق ذميم يضر البدن ويفسد الدين، وقد أمر الله تعالى بالاستعاذة من شرورهم، يقول الله تعالى في محكم التنزيل ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ الفلق:5، وفي الحديث روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «دب إليكم داءُ الأمم قبلكم البغضاء والحسد...»، وأما سوء الظن فهو خلق مكروه، يعمى محاسن النفس ويقطع الرحم، ﴿بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ۝١٢﴾ الحجرات:12، **وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إياكم والظنَّ فإنَّ الظن أكذَبُ الحديثِ، ولا تحسسوا ولا تجسسوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً» (البخاري، 2002م، ص 1519)**

*** الوسائل التربوية المستنبطة من أدب الدين والدنيا.**

أن الوسائل التربوية التي ضمنها مؤلف (أدب الدنيا والدين) للماوردي كثيرة يفاض حصرها، كما أنها تنوعت بين مواعظ وإرشادات ونصائح تربوية، نذكر بعضاً منها في الآتي:

* تعزيز المهارات العقلية. من خلال جعل العقل كقوة توجه السلوك وتعلل الظواهر وتدرك الضروريات (النظر، السمع، الذوق، اللمس، الشم).

* الوعظ والإرشاد. بأن جعلها كأدوات تربوية فعالة، تذكر الافراد بواجباتهم الدينية ومعرفة القيم الأخلاقية، هذه الأدوات تعد عامل مساعد في بناء وعي أخلاقي للأفراد وتعزيز المعرفة والفهم وسلامة الإدراك، من خلال عملية التعلم والتعليم، أي تعليم القرآن الكريم والسنة النبوية والقيم الإسلامية، وتوجيه الأفراد لتطبيق هذه القيم في حياتهم اليومية.

* التعلم المستمر، حيث جعل هذه العملية مستمرة للنشء لأجل تطوير مهاراتهم، وإكسابهم المعرفة.

* الثواب والعقاب التربوي، حيث جعل التوازن بينهما ضرورياً، الثواب محفزاً لإتباع السلوك الحسن، والعقاب يجب ان يكون عملية تصحيحية تهدف إلى تغير السلوك غير المرغوب فيه.

الخلاصة:

واستخلاصاً لما تقدم يستوضح أولاً أن الماوردي قد استخدم إعمال العقل في تنمية وعيه وإدراك لما كان يدور حوله، بواسطة التأمل وحسن التفكر والثقة في –الله سبحانه وتعالى– والاستعانة به، لذلك أبدى اهتماماً كبيراً بجوانب التربية في الإنسان، بمختلف أشكالها، (التربية العقلية والدينية والنفسية)، وبين أن صلاح الإنسان لا يكون إلا بكمال عقله، وكمال العقل لا يكون إلا بدين متبع، به يستقيم حال النفس ويصرفها عن هواها ويرشدها إلى الحق، وفي المقابل أظهر اهتماما بالغاً بالعلم والعلماء، حيث قدم لنا وجهة نظره في عملية التعليم، هدف منهما تقويم سلوك الإنسان وتوجيهه، ما يرشدنا إلى أنه كان يولي أهمية كبيرة لهذا الجانب، وهما في نظره طريق الإرشاد إلى السلوك الحسن والتربية الصحيحة، وهي رؤية نابعة من عقيدته الإسلامية مصدر الهداية والإرشاد، فتحدث عن تأديب النفس من حيث تهذيبها، وعلاج أمراضها عن طريق تعديل السلوك، وهو ما يسمى بالمجاهدة والتربية الروحية، ومن خلال ذلك أخذ يوازن بين الجانب النفسي والجانب الروحي، ويربط منهجه التربوي بين صلاح الدين وصلاح الدنيا، ينادي على إثره بجملة من المبادئ التربوية، بسطها بالاستناد على أسس متينة انتظمت في عدة آراء وأفكار تربوية أساسية، لها تأثيرات متباينة قي السياق الثقافي والتاريخي الذي عاش **فيه**.

الخاتمة والاستنتاجية: لما كان الماوردي على قدر رفيع المستوى من التمرس في فنون الحياة والتبحر في علومها، فضلاً عن سعة في الثقافة، فإنه يستحق منا الاستبصار في موروثه العلمي النفسي والتربوي، للإفادة في البناء الحضاري، والتطور الحداثي، مع الحفاظ على خصوصية البيئة التاريخية لكل زمن، غير أني لا أدعي إضافة الجديد في هذا المقام، أو أن عملي هذا قد حاز الكمال لكنه جهد المقل، فنخلص منه إلى عدة آراء يمكن صياغتها كخلاصة استنتاجية، نشرع بذكر المقصود منها بعون الله المعبود.

* نقول بيقين لا شك فيه، أن (**أدب الدنيا والدين**) عبارة عن منظومة تربوية أخلاقية متكاملة، منضبطة بالضوابط الشرعية، تهدف إلى إصلاح سلوك الفرد وتشكيل الشخصية من جميع الجوانب، وتحرص حرصاً تاماً على تنمية القدرات العقلية.

* من خلال المنهج الاستقرائي وبآلية وصفية استنباطيه، أن الماوردي قد وصل إلى حقائق سبق بها العلماء المحدثين والمعالجين النفسانيين من أتباع رواد مدارس العلاج السلوكي المعرفي الحديث، من خلال تركيزه على تربية العقل وتغير معتقدات الفرد الخاطئة، كونها المؤثرة في تعديل السلوك، وكذلك عنايته في علاج السلوك السيء أو المذموم، وهو الأسلوب الذي غالباً ما يتبعه معالجو السلوك النفساني في علاج الاضرابات السلوكية التي تطرأ على شخصية الفرد.

* آثرا قضايا عصره وأثر في بيئته تأثيراً كبيراً فيما يخص فكره في المجال النفسي التربوي ، وكل المسائل المتصلة بهذا الجانب، يستند فيها إلى وعي متين ودراية كاملة بعقليته الفذة، وبصيرته النافذة، فوضع القواعد والأسس التربوية على ضوء المنهج الإسلامي بالرجوع إلى وحي السماء والهدي النبوي.

* تشكلت منظومته التربوية استجابة للأوضاع والمتغيرات التي كانت حاضرة في زمانه، قاصداً فهم قضايا عصره وبيئته، بعقلية متأنية متبصرة مستميتة، وخطى ثابتة سعى فيها جاهداً ومجتهداً في تبيين فكره والاجتهاد بالتنظير إلى وضع منهج تربوي عميق ومتكامل لإصلاح سلوك النشء قبل الملوك، وتربية العقل قبل تربية النفس مرسخاً قيم العقيدة ومبادئها، واستنباط الرؤى من محكم التنزيل وسنة الهدي النبوي، مرتكزاً على كلام الخبير الحكيم ووحي الرسول الكريم كأساس متين يستقي منهما ما يستقيم به حال بيئته وسلوك مجتمعه، ويحفظ به النفس الإنسية في كل زمان ومكان، وقد ارتأينا أن آراءه التربوية صالحة لكل زمان ومكان ويمكن تطبيقها.

* يرى أن سلوك الإنسان لن يستقيم إلا بصلاح النفس، وصلاح النفس لن يكون إلا بكمال العقل، وكمال العقل في دين متبع، لذلك أظهر ميلاً كبيراً لأهمية تعلم علوم الدين كأولى العلوم التي يتوجب صرف الاهتمام إلى معرفتها والعناية بها، (لأن الناس بمعرفتها يَرشُدون، وبجهلها يضلون)، وهذا ما يتوافق اليوم مع إقبال النشء على حفظ القرآن ودراسة علومه، للاستنارة

بهما في أمر التربية، وهو الأمر الذي سيساعدهم على تعزيز أخلاقهم وتوجيه سلوكهم وإرشادهم إلى الطريق الصحيح في ظل مستجدات العصر الراهن.

* من أوجه الاختلاف بين التربية النفسية الحديثة، أن الماوردي يعتمد في استرسال المفاهيم التربوية المتعلقة بالنفس على النصوص الدينية، وأحياناً الفلسفية، بينما التربية النفسية الحديثة تعتمد أساساً على الأبحاث والدراسات العلمية في تطوير الشخصية، أي أن الماوردي لا يخرج في تشكيل شخصية الفرد وتطوير سلوكه **عن الإطار الديني، إذ لعب الدين دوراً حاسماً في تكوين الشخصية عنده، وتنمية القيم الأخلاقية، وعلى ضوء ذلك جاهد بالتنظير إلى تعزيز الوعي الديني والاستجابة للتوجيهات الدينية كوسيلة لتحقيق التوازن النفسي والروحي.**

التوصيات والمقترحات:

بناء على الاستنتاجية التي توصلت إليها الدراسة فقد تم صياغة التوصيات الآتية:

* الماوردي عالم إسلامي ومفكر عربي ذو نظرة ثاقبة متعددة المعارف متفطن، يستحق منا التبصر في موروثه التربوي، وذلك استكمالاً للفائدة المرجوة من تراثنا الإسلامي، إذ نحن بحاجة إلى قراءة التراث الإسلامي للاطلاع على أنماط الفكر الإسلامي واستنطاق إسهامات عُلمائنا المسلمين في المجال النفسي في ضوء معطيات عصرهم، وذلك بإجراء المزيد من الدراسات حول التراث التربوي الإسلامي.

* الرجوع إلى دراسة السلوك الإنساني في الدراسات النفسية من الناحية الروحية وتعزيز الجانب الديني، بدلاً من التركيز فقط على الموضوعات التي تتعلق بالنواحي المادية والبيولوجية.

* أرى من وجهة النظر إدراج رؤى مؤلف (**أدب الدنيا والدين**) للماوردي، و(**الأخلاق والسير في مداواة النفوس**) لابن حزم الاندلسي و(**تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق**) لابن مسكويه، في المناهج التعليمية التربوية للمراحل الدراسية الأولى كنصائح تربوية مستنبطة لتعليم النشء وتربيته، ثم التدرج في موضوعات الكتاب حسب المراحل الدراسية، وفي المراحل الجامعية كمقررات تحت مسمى (الأخلاق والقيم الإنسانية) للمراحل التمهيدية الأولى، نظراً لما تجيد به هذه المصنفات من رؤى وأفكار تربوية يمكن أن تسهم إسهاماً جاداً في إصلاح سلوك أبناء العصر التكنولوجي.

تم بحمد الله ومنه نستمد العون والتوفيق

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية حفص، مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي، الإصدار2.1، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

ابن القيم الجوزية. (بلا تاريخ). *مفتاح دار السعادة.*

ابن حزم الأندلسي. (1980م). *الفصل في الملل والأهواء والنحل.* بيروت، لبنان: دار الفكر.

ابن حزم الأندلسي. (2009م). *الاخلاق والسير في مداواة النفوس* (المجلد 3). بيروت، لبنان: دار ابن حزم.

ابن سينا. (1960م). *النجاة.* القاهرة: مطبعة السعادة.

ابن عبد البر. (1994م). *جامع بيان العلم وفضله* (المجلد الأولى). الدمام، السعودية: دار ابن الجوزي.

ابن عبد ربه. (1940م). *العقد الفريد* (المجلد 2). القاهرة، مصر: لجنة التآليف والترجم.

ابن قيم الجوزية. (1986م). *كتاب الروح* (المجلد الثانية). (السيد الجميلى، المحرر) بيروت، لبنان: دار الكتاب العربي.

ابن منظور. (1997م). *لسان العرب.* بيروت، لبنان: دار صادر.

أبى الحسن الماوردي. (1981م). *تسهيل النظر وتعجيل الظفر* (المجلد بدون). بيروت: دار النهضة العربية.

أبي الحسن الماوردي. (2019م). *أدب الدين والدنيا* (الإصدار الثاني، المجلد الأولى). جده: دار المنهاج.

أبي حامد الغزالي. (1992م). *إحياء علوم الدين.* بيروت: المكتبة العصرية.

ابي عبدالله بن اسماعيل البخاري. (2002م). *صحيح البخاري* (المجلد الاولى). دمشق، بيروت، سوريا، لبنان: دار ابن كثير.

أبي عيسى محمد بن عيسى السلمي الترمذي. (1996م). *الجامع الكبير* (المجلد الأولى). (بشار عواد معروف، المحرر) بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.

أحمد محمد يحي المقرى. (1978م). *تربية النفس الإنسانية في ظل القرآن الكريم.* مكة المكرمة: المكتبة المركزية، جامعة أم القرى.

آدم متز. (1947م). *الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري* (الإصدار الأول). (محمد عبد الهادي ابو ريده، المترجمون) بيروت: دار الكتاب العربي.

أرسطو. (1949م). *كتاب النفس* (المجلد 1). (أحمد فؤاد الأهواني، جورج قنواتي، المترجمون) القاهرة: دار الحياة الكتب العربية.

أرسطو. (2008م). *السياسة*. (أحمد لطفي السيد، المترجمون) القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

أرسطو طاليس، تحقيق، عبد الرحمن بدوي. (1954م). *في النفس*. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

أسماء سالم عريبي. (01 ديسمبر, 2022م). مسألة النفس في فكر ابن سينا. *مجلة جامعة سرت للعلوم الإنسانية*، الصفحات 77-93.

الامام ابي الحسن مسلم. (1991م). *صحيح مسلم* (المجلد الأولى). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

الامام البيهقي. (2016م). *المدخل إلى السنن الكبرى* (المجلد الأولى). جدة، السعودية: دار المنهاج.

الإمام الحافظ البيهقي. (2003م). *الجامع لشعب الإيمان* (المجلد الأولى). الرياض، السعودية: مكتبة الرشد.

الامام مالك. (1985م). *الموطأ*. بيروت: دار التراث العربي.

الامام نور الدين الهيثمي. (1992م). *بغية الباحث* (المجلد 1). المدينة المنورة، السعودية: مركز خدمة السنة النبوية.

الحافظ الذهبي. (1985م). *العبر في خبر من غبر* (المجلد الأولى). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

الذهبي. (1985م). *سير أعلام النبلاء* (المجلد 3). بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة.

الماوردي. (1955م). *أدب الدنيا والدين* (المجلد الثالثة). (مصطفى السقا، المحرر) القاهرة، مصر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

تاج الدين السبكي. (1977م). *طبقات الشافعية الكبرى* (المجلد 1). القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.

جيتس. (1960م). *علم النفس الاريوي* (المجلد 3). القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

خالد بن حامد الحازمي. (2000م). *أصول التربية الإسلامية* (المجلد الأولى). الرياض، السعودية: دار عالم الكتب.

خلكان. (2013م). *وفيات الأعيان* (المجلد السادسة). (احسان عباس، المحرر) بيروت، لبنان: دار صادر.

خير الدين الزركلي. (1992م). *الإعلام* (المجلد د.ت). بيروت، لبنان: دار القلم للملايين.

سعيد مراد. (2000م). *العقل في الإسلام* (المجلد 1). القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية.

سميح عاطف الزين. (1991م). *علم النفس، معرفة النفس الإنسانية* (المجلد 1). بيروت، لبنان: دار الكتاب اللبناني.

عبد الأمير شمس الدين. (1988م). *المذهب التربوي عند ابن سينا* (المجلد ط1). بيروت، لبنان: الشركة العالمية للكتاب.

عبد الرحمن مرحبا. (1970م). *من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية*. بيروت، لبنان: منشورات عويدات.

علي بن محمد الجرجاني. (م2007). *التعريفات* (المجلد 1). القاهرة، مصر.

علي خليل مصطفى. (1990م). *قراءة تربوية في فكر أبي الحسن البصري الماوردي* (المجلد الطبعة الأولى). جدة، المنصورة: دار المجتمع، دار الوفاء.

ماجد عرسان الكيلاني. (1987م). *فلسفة التربية الإسلامية* (المجلد 1). بيروت: دار البشائر الإسلامية.

ماجد عرسان الكيلاني. (1987م). *فلسفة التربية الإسلامية* (المجلد 1). بيروت: دار البشائر.

محمد جواد مغنِيّة. (1992م). *فلسفة الاخلاق في الاسلام* (المجلد 5). بيروت، لبنان: دار التيار الجديد.

محمد عثمان نجاتي. (1993م). *الدراسات النفسية عند العلماء المسلمين* (المجلد الأولى). القاهرة، مصر: دار الشروق.

محمد غسان الجبان. (2012م). *مبادئ في الفكر التربوي الإسلامي* (المجلد 1). دمشق.

مصطفى فهمي. (1975م). *علمالنفس: أصوله وتطبيقاته التربوية*. القاهرة: مكتبة الخانجي.

ياقوت الحموي. (1414هـ-1993م). *معجم الأدباء= إرشاد الريب إلى معرفة الاديب* (المجلد الأولى). دار الغرب الإسلامي.

[1] نقصد بالعناصر الغريبة تلك الثقافات التي توافدت على البيئة الإسلامية في عصر الماوردي، من زرادشتية وهرمسية وغنوصية وبوذية، هذه الثقافات أحدث شرخاً واسعاً في عقيدة المسلمين في تلك الفترة، وهو ما تفطن له الماوردي ومن عاصره من العلماء، هؤلاء توهجت نفوسهم واستبصرت عقولهم،

أخذت أقلامهم تسطر إسهاماتهم في تربية النفس وإرشادها بالرجوع إلى ما كانت عليه من السلوكيات الأخلاقيات الحسنة التي فطروا عليها قبل دخول الثقافات الاخرى.

[2] إسناده رجال ثقات كما ذكر في شعب الايمان للبيهقي، تحقيق مختار أحمد النووي، تحت رقم 6176، في باب الاقتصاد في النفقة وتحريم أكل المال بالباطل.

[3] - باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة.

[4] - كتاب الأدب78/ باب ما نهي عن التحاسد والتدابر، حديث رقم، 6065.

[5] كتاب حسن الخلق، باب ما جاء في الغضب، حديث رقم: 12، وفي صحيح البخاري، كتاب الادب، باب الحذر من الغضب، 6114.